(عيسى بن مريم فى القرآن الكريم)

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ...لاإله غيره ولامعبود سواه ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونتوب إليه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القائل : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله القائل : (أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه وأثنى عليه فقال : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) فاللهم أحينا على سنته ، وأمتنا على ملته ، واحشرنا في زمرته ، وأدخلنا الجنة بصحبته مع من أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وبعد فيقول الله تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ) .

• عباد الله المؤمنين : اليوم هو ذكرى مولد عيسى بن مريم عليه السلام عند المسيحيين فى الغرب ، أما مولده عند المسيحيين فى الشرق فهو فى يوم السابع من يناير وإن كان مولده فى هذين الشهرين فيه نظرعند المؤرخين ، فيرون أن ولادته كانت فى أغسطس أو سبتمبر والله أعلم...فلقد كانت بعثة سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام من المبشرات لمجئ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعده قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى) فقد تحققت فيه دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام عندما دعا ربه بعد فراغه من رفع قواعد البيت قال كما أخبرنا ربنا : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) كذلك فقد تحققت بشرى أخيه عيسى عندما قال كما أخبرنا ربنا : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...) .

• ولقد جعل الله بين عيسى بن مريم وبين آدم عليهما السلام تشابها فى أن كلا منهما خلق بدون أب ، فسيدنا آدم خلقه الله من الطين وسيدنا عيسى خلقه الله من الطين قال تعالى : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ ءادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) قد يقول قائل : نعم آدم عليه السلام خلق من الطين كما أخبرنا ربنا ، أما عيسى عليه السلام فكان له أم وهي مريم عليها السلام فكيف خلق من طين ؟ نقول : إنه تكون فى رحم أمه من الطعام والشراب وهما من الطين كسائر البشر خلقهم الله من الطين ، أما الأرواح فهي من علم الله قال تعالى : (الذى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) .

• ولقد ذكر القرآن الكريم قصة عيسى عليه السلام في عدد من السور...ففى سورة مريم ذكرت قصة حمله وميلاده ، أما سورة آل عمران ففيها أسرة المسيح عليه السلام إبتداء من دعاء جدته امرأة عمران عندما قالت : (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) فقد نذرت ما فى بطنها لخدمة بيت المقدس على اعتبار أن المولود ذكر...فلما وضعت أنثى قالت كما أخبرنا الله تعالى : (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) فتقبل ربها منها نذرها وإن كانت المولودة أنثى قال تعالى : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

• ولقد نَشَأت مريم عليها السلام نَشْأةً عفيفة وتربّتْ على الزهد والتقوى ، ولما كانت تؤدّي ما عليها من الواجباتِ وتُكثر منْ النوافل والطاعات بشّرتها الملائكة باصطفاءِ الله لها منْ بين سائر النساء فقال تعالى : (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) وفى محرابها الذي كانتْ تعبدُ الله فيه أرسل اللهُ إليها جبريلَ فى صورة شابٍّ أبيض الوجه فلما رأته مريمُ فزعتْ منه واضطربَت وخافتْ على نفسِها منه ، وظنتْه جاءَ ليعتدي عليها فقالت ما أخبرنا الله به : (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا) أي إن كنت تقيا مطيعًا فلا تتعرضْ إليَّ بسوء...فطمأنها وقالَ لها : إنَّ اللهَ أرسلَنى إليك ليهبَ لكِ ولدًا صالحًا طاهرًا منَ الذنوب...فقالت مريم : أنَّى يكون لي غلامٌ ولم يقربني زوجٌ ولم أكنْ فاجرةً زانية ؟ فأجابها جبريلُ عليه السلامُ : بأن الله خلق آدم من غير أب ولا أم ، وخلق حواء من غير أم ، وخلق بقية البشر من أب وأم...فتمام القسمة الرباعية أن يخلق من غير أب فسيكون منك هذا المولود...فهذه إرادة الله الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه ، فامتثلت لأمر الله فنفخ جبريل عليه السلام في جيبِ دِرعها وهي فتحةٌ فى العُنُق فحملت بعيسى عليه السلام .

• وبعد أن ظهر حملها فيه وعلت بطنها به إتخذت مكانا قصيًا خوفا من أن يعيّرَها الناس بذلك حتى ألجأها وجعُ الولادة إلى ساق نخلةٍ يابسة عندئذ تمنّتِ الموتَ خوفًا من أذى الناس ، وناداها جبريلُ عليه السلام وقيل : ابنها عيسى من تحتها من أسفل الجبل يُطمئنُها ويخبرها بأنّ الله جعل تحتها نهرًا صغيرا...ويطلبُ منها أن تهُزَّ جذع النخلةِ ليتساقط عليها الرُّطب الجنيّ فتأكلَ وتشرب مما رزقها الله وأن تقرّ عينُها...فإذا رأت أحدا تقول : إني نذرت للرحمن صوما أي لا أكلّم أحدًا ، ويقص علينا القرآن الكريم هذا المشهد بين آياته

من سورة مريم من آية رقم 16 فيقول : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا) .

• واستجابت مريم عليها السلام لأمر الله تعالى فأتت قومَها تحمل مولودَها عيسى عليه السلام على يدِها كما أخبرنا الله بذلك : (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) فهارون ليس أخا لها وإنما كان مشهورا بالصلاح فكان الناس يتسمون باسمه فقالوا لها : لقد فعلتِ فِعلة منكرةً عظيمة...فما كان لك أن تفعلى فعلتك هذه وقد نشأت فى بيت كريم وهو زكريا عليه السلام وصاروا يشبهونها بالصالحين من بنى إسرائيل ويُؤذونها وهي ساكتة لاتجيبُ لأنها أخبرتهم بأنها نَذَرتْ للرحمن صومًا...ولما ضاق بها الحال أشارت إلى عيسى عليه السلام أنْ كلّموه كما قال تعالى : (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ...) قالوا لها ما أخبرنا الله به : (...قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) عندئذ أنطق الله عيسى عليه السلام فقال كما أخبرنا القرآن الكريم : (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ ءاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) فأول كلمة نطق بها عيسى عليه السلام : إني عبد الله إعترافٌ بالعبودية لله العزيز القهار...هذا أول ما نطق به عليه السلام وهو في المهد قال : (إِنِّي عَبْدُ اللهِ) وقال : (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا) أي جعلني معلّمًا للخير حيثما توجهت فقال : (...وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) ثم دافع عن أمه التى اتهموها فقال : (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) .

• هذا هو موقف عيسى بن مريم عليه السلام ، موقف يعترف بعبوديته لله تعالى وليس كما يزعم النصارى بأنه إله أو أنه ابن إله ونحن نخالفهم في هذا...ونرى أن من اعتقد بألوهية المسيح فهو كافر كما أخبر بذلك القرآن الكريم ، وكذلك الذى لا يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم يكون كافرا وهذا شأن كل دين...فهم يعتبروننا كفاراً بدينهم ونحن نعتبرهم كفاراً بديننا ، فكل مَن يؤمن بشيء فهو كافر بضده ، فمَن يؤمن بالشيوعية يكون كافرا بالرأسمالية وبالعكس...فاختلاف الناس في الأديان لايعني عداوتهم أوخصومتهم...
وقد قيل : الإختلاف فى الرأي لايفسد الود بين الناس ، فالله لايحاسب فى الدنيا على الدين ولكنه يحاسب فقط على العلاقات بين الناس ساءت أم حسنت...أما في الآخرة فأمرهم إلى الله...

• فالإنسان قد يكون معذوراً فى عدم اعتناقه الإسلام فى غير بلاد الإسلام ؟ لأنه لم تبلغه الدعوة على الوجه الصحيح أولم يجد القدوة الحسنة التى يقتدى بها فيرى المسلم كغيره من الناس ، لم ير تغييرا فى سلوكه عما هو فيه حتى يفكر فى الإقتداء به...لذلك لم يراجع نفسه ويظل على دينه الذى عليه...الرجل الذى اعتنق الإسلام منذ شهر تقريبا هل عرض عليه أحد الإسلام ؟ لا...بل رأى شبابا يصلون فركن السيارة وانتظرهم حتى فرغوا من الصلاة وسألهم...فلما أخبروه بدأ يبحث عن الإسلام وجاءنا وشهد الشهادتين وأخذ كتبا ليتعلم الصلاة وصلى معنا الجمعة بجانب الدكتورعصام...فكما قلنا فى اللقاء السابق المهم فى الدعوة إلى الله القدوة والمعاملة الحسنة التى تجعل الآخر يوقن بأنك على الحق فيقتدى بك بدون أن تعرض عليه دينك ...

• ونذكركم بقصة ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة حتى يستفيد من لم يكن معنا فى اللقاء السابق عندما أسره بعض الصحابة وربطوه فى سارية المسجد فلما رآه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له : (مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟) فقالَ : عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ...إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ...فتركه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى كان الغد فقال له : (مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟) فقال له مثل ما قال...فتركه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى كان اليوم الثالث فقال له : (مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟) فقال له مثل ما قال...ثم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ) أي حرروه ليذهب كيفما يشاء...فماذا فعل ؟ إِنْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشهد أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...فهل عرض عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام ؟ لم يعرض عليه الإسلام بل هو الذى اعتنق الإسلام بسبب المعاملة الحسنة التى رآها بعينيه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فاتقوا الله عباد الله وبلغوا الدين الحق لهؤلاء الناس وكونوا قدوة بأقوالكم وأفعالكم...فأقوالكم وأفعالكم هي رسل الإسلام فقد قال الله تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) .

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

(كل ابن آدم خطاءوخير الخطائين التوابون)